شارل ج. لودي: محمد وأسرائيل والمسيح[1]

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

في هذا الكتاب الفاظ سحرية يعيدها المؤلف برّلم : الحب . المودّة . العاطفة . الترحاب . . . فكأنه يريد من هذه الالفاظ فرض طريقة للبحث في كتاب علمي . نعم ان الحب الحقيقي هو صفاء وصدق واخلاص لكنه لا يمنع صراحة اعتبار الامور والحكم فيها كما هي . فدون التخلي عما يفرضه الحب ونحذّراً من توهم العاطفة حقيقةً ومن التيه بعيداً عن موضوع البحث ودون تزويق ولا تخريب يجب ان تُعلَن الحقيقة كما هي .

هذا ما يجعلنا نقف ازاء هذا الكتاب متحيّرين اذ يتخيّل لنا بان الحب والمودة والاخلاص قد زوّرت فيه اتجاه بحوث علمية بحتة . من مقايسات لفظية ومن مقابلات معان ينتزعها من صلب النصوص التي هي جزء منها ومن افتراضات عاطفية ومن انفعالات نفسية شخصية يحتسبها للآخرين ومن مبادلات افكار يضعها دون برهان وتدقيق : من هذه كلها يستنتج المؤلف نتائج يدّعيها ثابتة .

لا نريد بانتقادنا هذا ان نشك قط بالنية الشريفة الخلوصة التي حملت المؤلف على الوقوف وقفته هذه من اول كتابه الى آخره . لكن العاطفة شيء والعلم شيء آخر لا يجوز لنا الا ان نميّز بينهما والتقاليد الاسلامية نفسها سوف تشهد بحقيقة ما نقوله .

○

يتركب الكتاب من مقدمة وثلاثة اجزاء وهي : الحادث في التاريخ — في قلب النبي — في بركة ابرهيم .

يدلنا المؤلف في حاشية استهلاله على الهدف الذي يتوخاه وهو جدير بالثناء . لا ننكر بان التوصل الى محادثات تؤدي الى تنظيم القوى الروحية ازاء الكفر الطاغي هو رغبة كل نفس صالحة الارادة وكل قلب بشري .

لكن هذا الهدف السامي — والمؤلف يشعر بذلك — يفوق المقادير بما

[1] Charles-J. Ledit : *Mahomet, Israël et le Christ*. — La Colombe. Paris, 1956, 178 pp.

يخص اللاهوت المسيحي والتعليم الاسلامي . يعلن المؤلف بان مجونه « شاقة » واحياناً « جريئة جداً » وكأنه يشعر بتوبيخ من ضميره لقوله ما قاله فيتابع : « ويأمل المؤلف بانه دون ان يترك مواقف الايمان الكاثوليكي لم يخن تعاليم اللاهوت الاسلامي الجوهرية » (ص١٠) واننا نشك بانه قد نجح في تسليم امله بعدم تلم اللاهوت الكاثوليكي وعدم التعرّض لنقص فيما يخص اللاهوت الاسلامي.

في ابواب الجزء الاول الاربعة لا نجد ما نؤاخذ عليه المؤلف الا حاشية عرضيّة في الصفحة الثانية والعشرين يدعي فيها « بان الاسلام لم يتعرض لشخصية كلمة الله الإلهية » . لا نرى على ما استند المؤلف في اثبات حكمه هذا : وهو الذي يحاول تفهم روح ديانة نراه هنا يعتمد على الوضع اللفظي لا غير. نعم لا نجد في القرآن نفياً لفظيًا او حُكماً كلامياً بخصوص شخصية كلمة الله الالهية لكن روح القرآن بتمامها تؤكد لنا بان هناك رفضاً باتًا بقبول شخصية كلمة الله الالهية . اكتفي بايراد السورة المئة والثانية عشرة حيث يثبت محمد وحدانية الله بنوع لا تبقي محلًا لجدال ونصوص اخرى في القرآن مقابلة للسورة المذكورة تؤكد ذلك .

ما عدا ذلك فالتاريخ الذي يقصّه علينا المؤلف يسير دون عارض لكنه لا يخلو من تلميحات الى موقف الكنيسة لسنا نعرضي بها : فكأن السبب الوحيد لظهور محمد كان شقاق الكنيسة اذ ذاك ومبالغتها في التدقيقات العقائدية وطمعها. لكن قد يكون هناك سبب اكثر تأثيرًا في نفس محمد الدينية او علاقاته مع تجار جوّالين من النساطرة او غيرهم اكتشف بها ديانة رأى فيها فائدة لنفسه ولمعاصريه .

سوف نعود الى الكلام عن هذين السببين .

انتا في ابواب الجزء الثاني الخمسة خصوصاً نجد طريقة التحليل النفسي بكمالها : ويدّعي المؤلف بانه يتحاشاها. وسوف نعطي فيما بعد الامثلة الاكثر جلاء. لكننا نبدأ اولًا بانتقاد الطريقة عينها .

في الصفحة الواحدة والخمسين يعلن المؤلف بان « لبن احنف يرضى بتحليل

نفسيّ عن اشخاص غائبين وبالأحرى عن الموتى » . وهـذا قول صوابي لكنه يظهر كن يحامي عن نفسه بقوله هذا اذ لا يخفى عليه عدد الدرجات التي يمر بها ليتوصل — حسبما يدّعيه — الى اطلاعنا على شخصية محمد . ففي الصفحة المئة والثالثة عشرة بعد ان فتّش عن متطلّبات موقف محمد النفسيّة وحلّلها أبهتنا فجأةً عند قراءة قطعة بها تمتاز هذه الطريقة. ها نحن نضعها بنصها تحت نظر القارئ.

« لنقُل حالًا بأن لقرآن الحوريات قيمةً « كتارتيّة » كثيرًا ما لا يُعرف قدرها. ففي بشرية مستعبدة لاندفاع الامیال أيكون اسلوباً سيئاً نقلُ اشدّ اندفاعاتها الى ما وراء الحياة . الالهام الكتابي عينه ألم يعمل لتهذيب اسرائيل بتشبيه العهد بعقد الزواج . لا نفتّش بعيدًا في نفسية الاعماق : هذه حنة أما حقّ لها ان تنتحب امام تابوت العهد لِتُقيم حياتها البيتية وألم يمكن لزكريا ان يتوسل الى السماء ليعطيه [الله] ابنا. اذن هنا ايضاً يُرتاب من تأويل ليس الا تحليلًا نفسيًّا».

لا نقدر عند قراءة هذه القطعة وبواسطتها — وهي تمثل جيدًا الروح التي تختلج في الكتاب كله — ان نمتنع من ابداء الملاحظات التالية :

١ — لماذا هذا الاختيار الغريب : كفت للمؤلف كلمة « عقد زوجي » للاتيان بمقابلات لا مُبرّر لها. يرفض ذلك اللاهوت الاسلامي ويرفضه اللاهوت المسيحي. فالنساء الحوريات هنّ خلائق من دم ولحم، لكن العهد ليس الا روحياً وداخلياً الا اذا اتخذنا لتأويل الفردوس الاسلامي تأويل محمد عبدو والحركة العصرية التي تقوم ضدها تقاليد اسلامية ثابتة . وعلاوة على ذلك بما ان المؤلف يحب اللجوء الى المقابلات لماذا لا يفتش ايضاً في ديانات اخرى تصف ما وراء الحياة مشابهات اخرى لا تقلّ صحةً من التي تذرّع بها هنا .

٢ — ثم اذ يأبى المؤلف احياناً كثيرة اللجوء الى طريقة التحليل النفسي نراه هنا يستخدمها استخداماً مفرطاً حتى اننا نتساءل ابحثاً علمياً يقصد ام نفسياً يجب التحقيق فيه .

اننا نستغرب من المؤلف تأويله فالتاريخ ينكره . ليس محمد من عصرنا لنحلل نفسيته كأنه منه فإن عصر محمد ليس عصرنا ولكل عصر نفسيته الشخصية ولو وُجد بين الواجد والآخر بعض المشابهات . لا شك بان النعمة تقود النفوس بطرق شتى ، والله لا يقود الناس كلهم بطريقة واحدة حتم

بها مقدماً دون المبالاة باختلاف الاطباع. الانجيل كله يقاوم هذا التنظيم الآلي الموحد . اننا لا ننكر وجود مبادئ عمومية تخص كل الاطباع ، لكن ليس ما يقوم مقام الفردية ، وشخصية محمد بعيدة عنا في التاريخ وهذا يزيد في صعوبة تأويلها وفقاً لطريقة قياسية لا يجوز قط اخضاع الشخصية البشرية لحكمها .

في الصفحة المئة والسابعة عشرة يعطينا المؤلف حكمه في محمد بتدقيق اذ يخضعه لتحليل نفسي يأوله على طريقته وكل تأويله النفسي ينبيه على انفعالات محمد الجنسية فهو « يعجب للازواج المتآلفة تآلفاً الهياً » . واننا لنعجب من المؤلف اذ يؤالف هذه الاشياء. مارًا من الوضع الجسداني الى الوضع العاطفي ففي هذا التأليف تلاشي القرآن . اذا كانت غاية مؤلف الكتاب ان يعلم مفسري القرآن كيف يجب تأويله فهل يا ترى ينوي ايضاً تعليم محمد نفسه ما المعنى الذي اراده حقيقة بالالفاظ التي استعملها. اللاهوت الاسلامي عينه يرفض هذا التأويل رفضاً باتاً . وإلّا فيكون وصف محمد للفردوس جواباً على خيبة أمل . بعكس ذلك نعرف من القرآن بانه قد احب خديجة ... « حبيبان بعمر مؤاتٍ يقدمان الواحد للآخر حباً لم يزل بتولياً وبكلمة كل ما كان ينقص في زواجه الاول » (ص ١١٧) . ألا يوجد اذن في القرآن الا احلام عاشق « تأويل عالٍ لآمال تأبى ان تذل بلذات عبد .. تعويض عن حالة مؤلمة اشد الألم » ؟

ثم كثير هو ما يمكننا ملاحظته بخصوص سطور في اسفل الصفحة ١١٨ . لكن نرى السكوت اجدر بنا .

c

يحتوي الجزء الثالث من الكتاب ما هو اكثر غرابة وهو يتركب من اربعة فصول .

يذهل القارئ اولاً اذ يرى المؤلف يلقي على نفسه مشاكل حقيقية كالتي قد يلقيها عليه لاهوتي مسيحي . لكنه يمرّ بها مروراً دون اكتراث بجواب ، دون ان يعيرها ادنى اهتمام كانها لم تكن (ص ١٢٣) . في الصفحة ١٢٤ يظهر المؤلف رغبة صادقة بمقابلة الديانتين المسيحية والاسلامية. هذا شوق يشرفه لكنه لا يبرر التسرع في المقابلات. يبقى بين الديانتين فرق اساسي لا يلاحظه المؤلف هنا : سرّ الثالوث الاقدس. هذا الفرق الذي حدده كل مفسري القرآن

والقرآن عينه باجتهاد ودقة . لا يكفي التكلم عن الله بل يجب الفحص عن النوع الذي تم به الالهام في كل من الديانتين . اللاهوتيون المسلمون كابن حزم والغزالي (طالع كتاب الاب روبر شدياق « التفنيد البارع ») ينهضون لدحض المؤلف.

في الصفحة ١٢٦ يعطي المؤلف مثالاً جديداً عن طريقته الاختيارية اذ يقول : الإله الذي يتكلم عنه عدد من المزامير لا يختلف من اله الاسلام . فنجيبه بهذا السؤال : المزامير التي تتكلم عن هذا الاله هل تقول عنه كل ما يقوله الكتاب المقدس عن الله . ثم ليس من ينكر بان معرفة الله في المزامير تتكمل شيئاً فشيئاً لا بذاتها لكن في فكر الذي يتكلم وفي حياته . وهل نقدر ان نتكلم عن اله المزامير دون تأخير الحكم فيه الى ان تتم صورة اله كتب العهد القديم . هذه المقابلات قد اتت في غير اوانها وان نتائجها وخيمة لا شك .

في صفحة ١٢٨ يظهر لنا المؤلف راجعاً الى الوراء . في ما تكلمنا عنه اعلاه مقابلة بين اله الاسلام واله المزامير (ويكون هذا اله الالهام الصحيح) . والحال في الصفحة المذكورة يعتبر المؤلف الاسلام ديانة طبيعية فكيف تمكن اذن مقابلة اله الاسلام باله الالهام وهل يكون الاله الذي يتوصل الى معرفته علم الالهيات الفلسفي واله الالهام الاله عينه . يقولون انه يوجد مجانسة بين الاثنين انه يوجد بينهما تشابه . لكن الحقيقة هي ان بينهما فرقاً عظيماً .

في الصفحة عينها يجب الانتباه الى تصريحات اخرى عديدة يتوقف عندها المؤلف مُعجباً . ليت المؤلف يرضى بالتوضيح لنفهم ما يعنيه بهذا الاثبات الذي جاء في كتابه : « وفعلاً نلاقي في الاسلام قيماً قريبة من النعمة المقدسة » . ماذا يعني يا ترى بهذه اللفظة « قريبة » . هل يجهل بان التعليم الكاثوليكي يميز تمييزاً باتاً بين الفائق الطبيعة والطبيعي . نعم يوجد في الطبيعة اهلية للفائق الطبيعة وهذا امر لا ننكره لكن المجمع التريدنتيني يقول بان هذه الاهلية تتم بعمل النعمة عينها . ان يكون في الطبيعة استعداد ، ان يكون انتظار ، هذا امر ممكن بل اكيد ، لكن لا نتعدّ فان هذا الانتظار لو كان هو هو النعمة لما كان لنا حاجة الى الله . لكان يكفي اذ ذاك لادراك المُنتَظَر ان تعمل الطبيعة نفسها بقواها الداخلية دون مداخلة خارجية .

علاوة على ذلك — وهذا لا يجهله المؤلف — ان للنعمة المقدسة معنى هو خاص بالديانة المسيحية تتفرد هي به وليس « قريباً » لمعنى غيره .

ثم في الصفحة عينها يتكلم المؤلف عن « حضور » الله وعن « استراحة الله بين ذويه » . اين يا ترى في القرآن او مؤوّليه ما تعنيه هذه الالفاظ . القرآن يقول عن الله بانه اقرب الى الانسان من عروقه وهو يريد بذلك ان يثبت خضوع الانسان التام الطيعي لله لا غير . فالمعنى الذي يُعيره المؤلف لكلام القرآن ليس فيه فهو معنى مسيحي كتابي مُلهَم محض لا يحتمل مقابلة .

في الصفحة التابعة ١٢٩ يحامي المؤلف عن نفسه بقوله: « يجب ان لا نطلب من الاسلام الناشئ تفكيراً لاهوتياً في معنى الرضى والاستراحة » . لربما يمكن ان نطلب ذلك من مفسري القرآن او من التقليد الاسلامي كما يفهمه الاسلام. عبثاً فان مفسري الاسلام — وهم ينقلون عن بعضهم بعض (وهذا امر يسهل اثباته) — لم يهتموا قط لذلك . اما المسيح فانه في ظروف شتى كرر قوله بانه للاتمام والتكميل لا للهدم . وكان باتصال دائم مع العهد القديم . من العهد القديم كان يأخذ ليشرح ويعلم . هل تقدر ان نقول هذا عن القرآن . لو جاء المسيح بعد محمد اكان يمكنه ان يأخذ من القرآن ليشرح ويعلم ويبقى بالاتصال معه . هذه اسئلة نوجهها للمؤلف الجواد .

في اسفل الصفحة عينها نقرأ ما يثير فينا الاستغراب والدهش . نقرأ : « بينما اسرائيل عاش دائماً وانظاره متجهة الى المسيح اي الى تجديد ملك داود السياسي والروحي ، الاسلام يعلم منذ البدء بان الحادث المسيحي الوحيد المنتظر هو المجيء الاخير اي دينونة العالم ومعها رجوع يسوع « كعلامة الساعة » . فهل يختلف بهذا حقاً الاسلام من الايمان الكاثوليكي » . واتماماً لتأكيده هذا يورد في الحاشية ١٨ السورة ٥/١١٤ « حيث يظهر يسوع معاوناً اولاً في الدينونة » .

أنْ يتساءل المؤلف ان كان « الاسلام مختلفاً حقاً من الايمان الكاثوليكي » يحملنا على الظن بانه قد نسي معنى تعاليم اللاهوت الكاثوليكي فانها تثبت بان يسوع سوف يأتي لا كمعاون في القضاء لكن « لكي يدين الاحياء والاموات » لان اباه قد اعطاه كل سلطان ليدين والعالم كله خاضع لدينونته : هو العلامة

وهو المقياس . هنا ايضا يعتمد المؤلف على مقابلات لفظية ويتعجل بالاستنتاج. ليته اكتفى بعرض المسألة دون الجواب عليها .

في الصفحة التابعة ١٣٠ يثبت المؤلف لكي يبيّن صواب موقفه بان المسلم « لا يزال يعتبر عيسى كخاتم القداسة » . هذا اثبات مطلق مبهم فلا حقيقة فيه . والصوفيون هم الذين اشاعوا فكرة قداسة يسوع هذه فباي حق يقال « المسلم » .

يتابع المؤلف متمسكاً برأي شخصي لا سند له المعادلة بين احداث العهد القديم واقواله واحداث والفاظ القرآن . ما قاله في الصفحة ١١٣ يكرره في الصفحة ١٣١ دون الاعياء بقيمة الالفاظ وهي من جهة كلام ملهم ومن الجهة الاخرى تحطي طعم المواعيد الفردوسية الجسداني . ان كلامنا يتفق سواء مع اللاهوت الاسلامي . لذلك اننا نؤاخذ المؤلف على ما يقوله في الصفحة عينها بان « الحيرين بين المسلمين قد ادركوا وبصواب ضرورة هذا التأويل بالنقل » . من هم هؤلاء المسلمون الذين يتكلم عنهم. لا بد انه يتكلم عن بعض مسلمي عصرنا الذين اثرت فيهم الافكار العصرية وقيمة الشخصية البشرية الروحية . اذا كان ذلك فاين النقد التاريخي وتطبيق الطريقة المرضية على البحث المطلوب. وهل يتفضل علينا المؤلف باسماء لاثبات ما يقول .

تتلاحق التصريحات المذهلة المحيّرة دون ما يتوجب من تدقيق وضبط في الصفحة ١٣٨ والصفحة ١٤٠ وبالاخص في اسفل الصفحة ١٤٣ . كيف يجرأ المؤلف على المقابلة بين اسرائيل واسماعيل دون الاشارة الى اللاهوت المسيحي الذي يثبت بانه يوجد اسرائيل روحي وهو الكنيسة وهو لا يعترف باسماعيل روحي. لماذا المماندة في المطالبة بمقابل لاسرائيل الروحي واي ضرورة دينية الى توسيع الافكار والتاريخ دون اساس . وما الموجب الادعاء بوجود كنيسة مقابلة للكنيسة وهل يوجد جماعة مؤمنين تسمو على كنيسة يسوع المسيح ؟ وان المؤلف ، عندما استند هنا الى نصوص القديس توما الاكويني ، ليبدو لنا كن أوّل تلك النصوص حسب رأي شخصي دون الاسس الكافية لذلك. اذ المطلوب ان لا نميّز بين نبوّة واخرى ولكن ان نعرف ما يتعلق بالنبوة الحقيقية وما لا يمت اليها بصلة .

بهذه التأويل المبهمة يمهد المؤلف الدخول الى الفصل التابع. يحاول التفريق بين محمد والمسلمين كما يفرق بين المسيح والمسيحيين . هل يرضى اللاهوت الكاثوليكي بهذه المعارضة بين مؤسسي الديانتين او يعتبر المؤلف المسألة فقط من الناحية الانسانية والعقلية دون اكتراث بالوحي . وهل يرضى المسلمون بهذه المعارضة . للجواب على هذا السؤال الاخير تكفي مطالعة كتب بعض مفسري القرآن كالبيضاوي وشتائم ابن حزم ومحاولات الغزالي الدمث الاخلاق . ونقول لتكميل جوابنا بان الكنيسة بصفتها كنيسة هي تسوع مهمتها ان تشرح تعاليمه وتحيا حياته اما المجتمع الاسلامي فيهتم باظهار للتعليم الذي تسلمه من محمد.

عندنا في الصفحة ١٤٩ من التأويل المعرضة الباطلة المبنية على مقابلات لا مسوغ لها وعلى افتراضات ليست الا التعبير عن ترجرج في معرفة الديانة الاسلامية وربما المسيحية ايضاً . هوذا نصوص : بعد ذكر قطعة من سورة المائدة يأخذ المؤلف بالتأويل : « وفتح الله مائدته ليسوع وذويه . ما الذي كان يقدر ان يعطيهم الا ذاته هو الذي يشبع دون قياس وحضوره في قلب الشهيد يحيه القوة للشهادة . الحية فائقة وانكارها يستوجب عقاباً فائقاً ». وهكذا ينتقل المؤلف من « الاشتراك بائدة » الرب فيقابلها مع نصوص القديس بولس الشديدة اللهجة بها يحكم على الذين يتقدمون الى المائدة المقدسة دون استحقاق وبعد ذلك يذكر الملائم التي يوجهها محمد الى الجمعيات الرهبانية المتراخية في سيرتها « مع انها تجتمع حول هذه المائدة حيث يضيء مصباح المقدس » . ما الذي يا ترى يريده المؤلف بهذا الافراط في التفتيش والضلال. فالكلام عن سورة المائدة وهي تحدث عن الطعام الذي اعطاه الله لعيسى وتلاميذه. وما هي للمسيحي القيمة الرمزية لهذه المائدة المقدسة . كم نتمنى ان يكون المؤلف قد اعطانا براهين لاثبات هذا التصريح الاعتباطي الموسف . هو الانتقال من فكر غريب الى آخر يحير القارئ ويتعبه. ثم اننا نعجب لمرورها تحت نظر منتقدين يقظين قبلوها برضى غير ساخطين. . . في الصفحة نفسها ١٤٩ حاشية : « حسب المؤولين هناك رواوا : سمكة مشوية دون قشر ودون حسكات وملحاً وخلاً واعشاباً وخمس خبزات مستديرة عليها زيتون وعسل وزبدة وجبن ولحم مقطع (البيضاوي: في المحل عينه) وبالاختصار كل مايتركب منه غذاء. فصحي حيث يقوم مقام

الحمل الرمز المسيحي السمكة (طالع اكور ١١—٢٣) .

ماذا يعني المؤلف « بالغذاء الفصحي » وخلال نص قرآني. ماذا يعني بالحمل الفصحي والسمكة في النص هذا عينه .

نزيد باسئلتنا هذه ان نلفت انتباه المؤلف والقارئ. معاً الى ما يلي : يوجد اشياء هي مسيحية محضاً فاذا كان اسرائيل قد تكلم عنها على الاقل بنوع صريح لم ينو بذلك الا الفات انتباه القارئ. عما سوف يكون ، عن حادث آت. ولا ننكر بامكان اكتشاف « حجرة انتظار » في بنيان ديانات اخرى تترقب مجيء الديانة المسيحية . لكن « حجرة الانتظار لا توازي بقيمتها قيمة الحقيقة التي تمت في الديانة المسيحية وفيها وحدها اكتملت. عندما نتكلم عن الغذاء الفصحي نعطي هذه الالفاظ معنى خصوصياً ليس المعنى الذي يعطيه المؤلف اعتباطاً للمائدة التي مدت عليها الاطعمة المختلفة التي ذكرها والا فكل مائدة مدت عليها هذه الاطعمة هي « وليمة فصحية » .

في الصفحة ١٥٠ يشبه المؤلف محمداً ببطرس وهو « لمحبته العظيمة ليسوع لا يرضى بانتصار اعدائه ». لا اتصور بان لاهوتيي الاسلام يقبلون برضى التأنيب الذي وجهه يسوع الى بطرس عندما « لحبه المفرط » له رفض سرّ الصليب، اننا نستغرب كيف يُطبق المؤلف على يسوع كما يتكلم عنه القرآن اقوال الالهام المسيحي وبالاخص اقوال القديس بولس . انه يحيّرنا بعمله هذا . بين هذه النصوص وتلك بون عظيم دينياً وبشرياً .

وما نقوله الآن يوقفنا هنا . ففي صفحة ١٥٢ وفي الصفحة التابعة يعود المؤلف ويؤكد لنا بارتياح ان القرآن يقر بتجسد الكلمة فانه يقول : « الا يخاطب اذ ذاك الله نفسه ومباشرةً الانسان « بشخص » كلمته « وهذا هو تمام سرّ التجسد. فمن اذن يجد في القرآن انكار تجسد الكلمة » . هذا النص يثبته نص آخر نأخذه من الصفحة ١٥٤ وهو هنا اكثر تأكيداً : « اذا القرآن لا يتردد في اعلان تجسد الكلمة فهل يتوصل الى الاقرار بحقيقة هذه السجية الالهية التي توجب السجود » .

ما الحكم في هذه التأكيدات التي تتتابع متراكمة. في الصفحة ١٥٢ يتكلم المؤلف عن كلمة الله واضعاً لفظة « كلمة » بين قوسين . ظننا اذ ذاك بان

هذه العلامة تعني انه يأخذ هذه اللفظة بمعناها الخصوصي في القرآن . لكن ظننا لم يستقرّ فان المؤلف اخذ في الصفحة التالية يتكلم بنوع مبهم عن تجسد الكلمة . ولم يتكلف تحديد هذه اللفظة « الكلمة » بحسب نصوص القرآن التي نجدها فيها. لم يتجرأ. ولو اتى على ذلك لما استطاع ان يبين لنا فكره كما فعل ذلك في الصفحة التابعة، هذا الفكر الذي يظهر بنوع جليّ مخالفاً معاً للقرآن وللاهوت الاسلامي وللاهوت المسيحي . فكأن المؤلف يجهل القرآن او يُأوّله تأويلاً خيالياً شخصياً غير عابئ به ولا بالتقليد الاسلامي ولاهوته ولا باللاهوت المسيحي . كان يمكنه قبل اثبات ما اثبته مباشرة البحث الضروري لتحديد معنى هذه اللفظة واطواره المتتابعة — وهو بحث عسير طويل المدى — فلو فعل لما قدّم لنا ما قدمه دون برهان ولا سند .

امر مستحيل قبول تجسد الكلمة بوجب القرآن هذا اذا حفظنا لهذه اللفظة معنى : اذا الكلمة ليس آلها — وللقرآن لا يمكن ان يكون آلها — فما معنى التجسد اذن .

في الصفحة ١٥٥ حاول المؤلف لكي يصحح موقفه واقوال القرآن تفسيراً للثالوث الاقدس مستنداً الى المجمع اللاتراني الرابع. هوذا ما يقوله « فمن يرضى بان الله يستطيع ان يعطي لذاته نسلاً على نحط اوثان البلاد العربية الجسدانيين . للمسيحي كما لأي كان اخر الذات الالهية واحدة « لا تلد ولا تولد » ». هنا يعطي المؤلف في حاشية العدد ١٣٢ من دتزنغر حيث توجد تأكيدات مجمع اللاتران) ثم يتابع — هي كيان بثلاث علاقات تقول اصطلاحياً بثلاثة « اقانيم » وهي تؤلف حياة الروح : المعرفة والنطق والحب . ليس حال فيه « لا يدخل الله الا ثالثاً » (٦/٥) ويسوع لا يختلس محل الله (١٩/٥) يبقى كلمة الله . وهذا كاف » .

فيما يخص اللاهوت الكاثوليكي هذه الاثباتات تتطلب شرحا. القول بان الاقانيم الثلاثة في الثالوث الاقدس هي: « المعرفة والنطق والحب » هو السقوط في ضلال « النوعية » فانه يجعل من العلاقات الثلاث القائمة بذاتها اي من الاقانيم انواعاً من الكيان لا غير وسائطَ للنطق. وهذا ضلال غوغل والبروتستانتي مونود. هل من يقبل بان العلاقات الثلاث اي الاقانيم الثلاثة هي حياة الروح .

وعلاوة على ذلك متى عنت لفظة « الله » الكيان الآلهي اي الطبيعة الآلهية . لما يوجه المسلم كلامه الى الله يريد التكلم مع شخص لا مع الطبيعة الآلهية . فلا نقدر اذا ان نتجه الى مجمع اللاتران للاستجارة به والمحاماة عن تأكيدات القرآن التي تعود الى هذا : « الله لا يولد ولم يلد » . فانه مخالف لمجمع اللاتران الذي يعلم بانه ليست الطبيعة هي التي تلد لكن اقنوم الآب . الضلال هو ان ننقل الى ديانة اخرى كلمات مسيحية مع محتواها وليس في هذا خدمة بل ضرر .

نترك القطعة الثانية من الصفحة ١٥٦ وخاتمة الصفحة ١٥٨ لكي لا نعيد الانتقادات عينها .

الفصل الاخير من الكتاب يثير هو ايضاً مشاكل كثيرة خصوصاً مشكلة النبوة ومعناها الصحيح . النصوص المأخوذة عن القديس توما والتي عليها يعتمد المؤلف تحتاج بعد الى تدقيق والى مقابلتها مع بعضها بعض . لا يجوز اقتطاع نص من مقالة القديس توما في النبوة دون ان يتغير معناه الحقيقي الذي لا يصح الا باقترانه ببقية النصوص . نقف هنا لاننا قد اطلنا المقال .

٥

نختم مؤكدين للمؤلف باننا لا نشك قط بحسن نيته . فاذا انتقدنا فقد انتقدنا رأياً متهوراً وبطريقة شاذة لا يرضاها المنطق وهو رأي مخالف لتعاليم القرآن وتقاليده .